ردمد: ١٦٥٢-٧١٨٩ ردمد (النشر الإلكتروني): ١٦٥٢-٧٤٧٢ العدد الثامن عشر ... رجب ١٤٤٠ هـ - إبريل ٢٠١٩ م

مجلة جامعة الباحة

للعلوم الإنسانية

دورية - علمية - محكمة

مجلة علمية تصدر عن جامعة الباحة

البريد الإلكتروني: buj@bu.edu.sa الموقع الإلكتروني: https://portal.bu.edu.sa/ar/web/bujhs

مجلة جامعة الباحة
للعلوم الإنسانية

العدد الثامن عشر ... رجب ١٤٤٠هـ - إبريل ٢٠١٩م ردمد: ٧١٨٩ - ١٦٥٢ ردمد (النشر الإلكتروني): ٧٤٧٢ - ١٦٥٢

المحتويات

التعريف بالمجلة .....

الهيئة الاستشارية لمجلة جامعة الباحة للعلوم الإنسانية .....

المحتويات.....

المكان ودلالته الرمزية في القصص القرآني "قصة موسى أنموذجً 1

د. سارة نجر ساير العتيبي

حديث جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ في حل أكل الضبع: دراسة حديثية فقهية..... 47

د. صالح بن فريح البهلال

القواعد النبوية في معالجة مشكلة الإدمان عند الشباب..... 75

د. نورة بنت فهد العيد

حديث "كلِمتانِ حبِيبتانِ إِلى الرحْمنِ، خفِيفتانِ على اللسانِ، ثقِيلتانِ فِي الْمِيزانِ، سُبْحان اللهِ وبِحمْدِهِ سُبْحان اللهِ الْعظِيمِ": دراسة حديثية..... 108

د. مشعل حميد اللهيبي

الأحكام المتعلقة بمتاع منزل الزوجيّة "دراسة فقهيّة"..... 129

د. عبدالخالق محمد عبدالخالق أحمد ..... د. سعود بن ملوح العنزي

التخطيط الإداري في الفكر الإسلامي..... 166

د. خيري عبد الفتاح حبيب عبد العزيز .....د. عبد الرحمن عبد الله عمر

أثر الغفلة وكثرة الغلط في الشهادة..... 185

أ. د. ماهر ذيب أبو شاويش

البدر المنير الساري في الكلام على صحيح البخاري جمع العبد الفقير إلى الله تعالى عبد الكريم بن عبد النور بن منير الحلبي عفا الله عز وجل 201

د. مريم ينت أحمد الخالد

الصدام الداخلي في صورة الآخر في الشعر العربي القديم تأبط شراً والبحتري أنموذجًا..... 237

د. سعيد بن عبد الله القرني

مستويات الفصاحة عند أبي زيد الأنصاري "ت215ه" والأصمعي "ت216هـ"..... 254

د. إيمان بنت محمد مدني

إدراك طلبة كلية التربية بجامعة الباحة للمناخ الدراسي وعلاقته بانفعالات الإنجاز..... 272

د. عماد متولي أحمد ناصف

دراسة أسلوبية للوحات الإعلانية على الطريق السريع بين مدينتي مكة وجدة بالمملكة العربية السعودية..... 310

A Stylistic Analysis of Billboard Advertising on the Jeddah-Makkah Saudi Arabian Highway their Expectations to Draw Success Strategies……..

د. أمل محمد صالح شعيب..... الأستاذة/ مي عبد القدوس أبو السمح

مجلة جامعة الباحة للعلوم الإنسانية

تصدر عن جامعة الباحة

مجلة دورية ـــ علمية ـــ محكمة

الرؤيـــة: أن تكون مجلة علمية تتميز بنشر البحوث العلمية التي تخدم أهداف التنمية الشاملة بالمملكة العربية السعودية وتسهم في تنمية القدرات البحثية لأعضاء هيئة التدريس ومن في حكمهم داخل الجامعة وخارجها.

الرسالة: تفعيل دور الجامعة في الارتقاء بمستوى الأداء البحثي لمنسوبيها بما يخدم أهداف الجامعة ويحقق أهداف التنمية المرجوة ويزيد من التفاعل البناء مع مؤسسات المجتمع المحلي والإقليمي والعالمي.

رئيس هيئة التحرير:
أ. د. سعيد بن صالح الرقيب

مدير التحرير:
د. راشد بن زنان الغامدي

مساعد مدير التحرير:
د. محمد عبد الكريم علي عطية

أعضاء هيئة التحرير:
أ.د. أحمد بن سعيد قشاش
أستاذ بقسم اللغة العربية
كلية العلوم والآداب ببلجرشي جامعة الباحة

د. نايف بن سعيد جمعان الزهراني
أستاذ مشارك بقسم الدراسات الإسلامية
كلية العلوم والآداب بالمندق جامعة الباحة

د. عبدالرحمن بن محمد الشرفي
أستاذ مشارك بقسم المناهج وطرق التدريس
كلية التربية جامعة الباحة

د. صالح بن محمد أبو القاسم عبدالله
أستاذ مشارك بقسم إدارة الأعمال
كلية إدارة الأعمال جامعة الباحة

د. رشاد بن محمد العريقـــــي
أستاذ مشارك بقسم اللغة الإنجليزية
كلية العلوم والآداب بالمندق جامعة الباحة

د. رحمه بنت محمد صالح عيفان
أستاذ مشارك بقسم الإدارة والتخطيط التربوي
كلية التربية جامعة الباحة

ردمد النشر الورقي: 7189 ـــ 1652
ردمد النشر الإلكتروني: 7472 ـــ 1658
رقم الإيداع: 1963 ـــ 1438

ص. ب: 1988
هاتف: 00966 17 7250341 / 00966 17 7274111
تحويلة: 1314
البريد الإلكتروني: buj@bu.edu.sa
الموقع الإلكتروني: https://portal.bu.edu.sa/ar/web/bujhs

الصدام الداخلي في صورة الآخر في الشعر العربي القديم تأبط شرًا والبحتري أنموذجًا

د. سعيد بن عبدالله القرني

أستاذ الأدب والنقد المساعد بقسم اللغة العربية

في كلية العلوم والآداب بجامعة بيشة

الملخص:

لم تحظ صورة الآخر في الشعر العربي بدراسات مستفيضة على الرغم من أهميتها،وظلت صورة الآخر غامضة لاسيما أن مفهوم "الآخر" ذاته يشمل كل من يغاير الذات على الإطلاق، وتختلف صورة الآخر عند الشاعر الأول عنها لدى الشاعر الثاني، فتأبط شراً يصور صدامه مع الحياة في صورة صدامه مع الغول، والبحتري يصور هذا الصدام في صورة صراعه مع الذئب، ولكن التجربة المعاشة في النصين تكاد تكون متماثلة، ويتمثل صدام الشاعر تأبط شراً مع الغول صداما ميتولوجيا باعتبار الغول كائنا خرافيا يتصف بالبشاعة والوحشية والضخامة وغالبا ما يتم إخافة الناس بقصصه. لهذا وظف من لدن تأبط شراً، فهو صدام بين ثنائية تضادية تجلي الماضي التام والحاضر غير التام. إن الصدام بينه وبين الحياة ممثلاً في الشيخوخة يحيله إلى الارتداد بالذاكرة للخلف ليذكر نمطاً من أنماط البطولة، ذلك النمط الذي يختفي معه الشعور بالعجز، ويحل محله الشعور بالقوة والفروسية، بينما نجد الصدام الداخلي في صورة الآخر عند البحتري يتمثل في الصدام بين تملك الحياة وامتلاك القدرة على مواجهة التحديات للوصول إلى المبتغى المادي والعاطفي. إنه صدام دائم لخلق توازن طبيعي بين الأنا المتطلعة إلى تحقيق الذات، والآخر المتحدي لهاته الأنا، ويصل الصدام إلى ذروته عندما تتحد الذات المحبة مع الذات الراحلة ليتولد من القرب العذاب، ومن الاتحاد الفرقة والأسى.

الكلمات المفتاحية: الصدام الداخلي؛ صورة الآخر؛ الشعر العربي؛ تأبط شرًا؛ البحتري.

The Internal Clash in the Image of the other in Ancient Arabic Poetry has Tabat Sharan and Al-Bahtari as A model

Dr. Saeed Bin Abdullah Alqarni

Assistant Professor, Literature and Criticism, Department of Arabic Language

Faculty of Science and Arts at Bisha University

Abstract:

The internal clash in the image of the other, the image of the other in Arabic poetry did not receive extensive studies, despite its importance, and the image of the other remained ambiguous, especially that the concept of the "other" itself includes all those who change the self at all. The image of the other is differently presented in the poems of two poets. Tabat Sharan portrays his confrontation with life is thwarted in the form of his clash with the ghoul. Albuhtari depicts this conflict in the shape of his struggle with the wolf, but the experience living in both texts is almost identical. The clash of the poet Tabat Sharan with the ghoul was portrayed as a mythological clash, considering that ghoul is a supernatural creature characterized by ruthlessness, brutality and greatness, and people are often intimidated by his stories. That is why he employed a man to set down evil. It is a clash between a dualism that reflects the past and the present. The clash between him and life, represented in old age, leads him to recoil in memory to the back to recall a pattern of heroism, a model in which a sense of helplessness disappears, replaced by a sense of power and equestrian. Albuhtari presented internal clash with the other as a conflict between the possession of life and the ability to meet the challenges to reach the material and emotional. It is a permanent clash to create a natural balance between the self-seeking ego and the ego-challenged one. The clash reaches its peak when the loving-self unites with the late person to be born of the nearness of torment, a union of division and sorrow.

Keywords: Internal Clash, other's Image, Arabic poetry, Tabat Sharan, Albuhtari.

مقدمة:

على الرغم من أهمية صورة الآخر في الشعر العربي، إلا أنها لم تحظ بدراسات مستفيضة تغطي هذا الجانب، علماً أن علاقة العرب بالآخر من الأمم تعود إلى العصور القديمة، وقد حدث التأثر بين العرب والأمم الأخرى على مر العصور وصولاً إلى الزمن الراهن.

وظلت صورة الآخر يكتنفها الغموض والتعتيم لاسيما أن مفهوم "الآخر" ذاته يثير كثيراً من الجدل ويسمح بالاختلاف حوله ويبدو في نظر الكثيرين غير محدد على نحو دقيق، حيث يرى بعض النقاد أن مفهوم الآخر هو المضاد للذات والوجه المقابل أو النقيض لها، وتأسيساً على ذلك، فإنهم يوسعون دائرة المفهوم بحيث يشمل كل من يغاير الذات على الإطلاق، وإذا طبقنا ذلك على الشعر فإن الممدوح والمهجو والمرثي والمرأة وغيرهم يندرجون في هذا الإطار، وهو ما يمثل إشكالية حقيقية في الدرس الأدبي.

إن مفهوم "الآخر" من وجهة نظري يبدو أكثر تحديداً فأعني به ذلك الآخر المعنوي المرتبط بتجليات مثل الكره، والحب، والسلطة، والكائنات الحيوانية.

وقد أذهب إلى أبعد من ذلك فأراه الأجنبي المضاد للذات العربية والإسلامية، والذي فرضت الظروف السياسية والاجتماعية والجغرافية والحضارية أن يكون هناك اتصال وتماس وعلاقات وجوار بين الطرفين، ولذا فإن علاقة العرب بهذا الآخر علاقة قديمة ترجع إلى ما قبل الإسلام؛ حيث اتصل العرب بالفرس والروم اجتماعيا، ورمزيا، ونفسيا، ومعرفيا، عن طريق الجوار من خلال إمارتي الغساسنة والمناذرة، وتوطدت هذه الصلات عن طريق التجارة، وبرزت صورة "الآخر" في الشعر الجاهلي بجوانبها المختلفة، وكان الأعشى أكثر شعراء العصر الجاهلي استحضاراً لصورة "الآخر" حيث نجد الحضور الفارسي قوياً في شعره. وفي المقابل أخذت صورة "الروم" تبرز في الشعر العربي بعد أن وجه العرب غزواتهم إلى بلاد الروم منذ عهد الخلفاء الراشدين مروراً بالعصر الأموي وصولاً إلى العصر العباسي الذي احتدم فيه الصدام بين العرب والروم وشهد تحولاً سلبياً في العلاقة بين الطرفين، وانعكس ذلك على الشعر فصور المعارك وهزائم الروم وجبن قوادهم وجنودهم وأسر رجالهم وسبي نسائهم، وتسجيل الوقائع التاريخية والمواقع.

أستطيع القول إن الآخر يمكن أن يطلق على ما سوى النفس من الحياة والأحياء، ويتجلى ذلك في صدام الإنسان مع الحياة؛ ذلك الصدام الدائم الذي تتغير صوره وتتنوع أشكاله ليخرج عن إطار النمطية المعهودة للمتصارعين الذي ينتهي الصدام بينهما بانتصار طرف وإخفاق آخر، وإنما يتبادل الطرفان نشوة النصر ومرارة الهزيمة، لأن الطرف المتصادم معه وهو الحياة لا يعد قوة مادية يتم الانتصار عليها أو الهزيمة منها بسهولة، وإنما هي جماع قوى مختلفة تتصادم مع الذات الإنسانية، فتقدر الذات على قهر بعضها، وتخور قواها أمام بعضها الآخر.

فالصدام مع المجتمع صدام مع الحياة، والصدام مع الشيخوخة والزمن المنقضي صدام مع الحياة، وكذا الصدام مع الأحلام التي تحققها الذات، والقدر الذي يأتي – في بعض الأحيان – مخالفاً لرغبات الإنسان وقاسياً في أحيان أخرى مما يؤدي إلى انهيار الذات وضعفها وعدم الرغبة في الحياة وانتظار الموت، وحتى هذه اللحظة تعد صراعاً مع الحياة.

وتختلف درجة الصدام من إنسان لآخر، فهناك من يستسلم لقوى الحياة، ويعلن هزيمته أمامها، فيرتدي رداء الخضوع والسلبية، ويصبح مثل الريشة في مهب الريح، وهناك من يقاوم هذه القوى ويقف أمامها بروح صلبة وعزيمة قوية فيقهرها أحياناً، وتقهره أحياناً أخرى، ويبقى الصدام بينهما مستمراً حتى تفنى ذاته معلنة تمردها على الحياة.

والشاعر العربي القديم عاش حياة مليئة بالمتناقضات التي تتمثل في الجدب والمطر، واللذة والألم والحب والهجر، والديار المسكونة والديار الدارسة، ونشوة السكر ومرارة الإفاقة، والشباب اللاهي والشيخوخة المعذبة، والنصر والهزيمة، والحياة والموت، كل هذه المتناقضات خلقت أجواء صدامية بين الإنسان والحياة، صورها الشاعر العربي القديم في شعره وتجسدت في أبياته، وهناك من الشعراء من صور هذا الصدام في صورة مباشرة.

يصور الشاعر العربي القديم صدامه مع الحياة في صورة الآخر، ويتجسد هذا الآخر في صورة حيوان يتصور الشاعر أنه يتصارع معه، وبعد محاولات من الإقدام والإحجام، والمقاومة والرفض ينتصر الإنسان على هذا الحيوان نصراً خيالياً، وفي جو أسطوري يحاول الشاعر من خلاله أن ينشئ هيكلاً درامياً لقصة مع هذا الحيوان، مما يجعل القارئ يحس أن الشاعر يعيش في جو من الفروسية والبطولة، ينتهي بالانتصار الكبير على هذا الحيوان.

ولكن هذه القراءة – من وجهة درامية – تعد قراءة أولى للنص تختفي وراءها دلالات القراءة الثانية التي تحدد شكل الصدام الخفي بين الذات والحياة الذي تظهره تلك القصة المجسدة لصدام إنسان مع حيوان في إطار أسطوري، ومن هنا يغدو الآخر ممثلاً للصراع ودالاً عليه.

وخلال البحث في النصوص العربية القديمة، وقع الاختيار على نصين لشاعرين من عصرين مختلفين، وبين العصرين أمد طويل من الزمن، فالأول من المخضرمين، وهو الشاعر تأبط شراً، والثاني من العصر العباسي وهو البحتري، ويختلف الآخر عند الشاعر الأول عنه لدى الشاعر الثاني، فتأبط شراً يصور صدامه مع الحياة في صورة صدامه مع الغول، والبحتري يصور هذا الصدام في صورة صراعه مع الذئب، ولكن التجربة المعاشة في النصين تكاد تكون متماثلة.

لكن السؤال الجوهري الذي يوجه هذا البحث هو الرغبة في تمثل الصدام الداخلي سيكولوجيا، بالتعبير عنه شاعريًا، للكشف عن الحالة الانفعالية المؤلمة التي تنتج من النزاع بين الرغبات المتضادة وعدم إشباع الحاجات، أو عدم السماح لرغبة مكبوتة بالتعبير عن ذاتها شعوريا عبر الشعر بوصفه إنتاجا إبداعيا. وهى مجموعة من الدوافع

والنزاعات التى تتصف بالأنانية، ويستمر هذا الصدام طول حياة الفرد، وإن كان يتخذ صورا مختلفة عبر العصور كما هو ديدن شاعرينا: تأبط شرا، والبحتري.

تنبعث من هذه الحاجات دوافع تدفع الإنسان إلى القيام بنشاط توافقي لإشباع هذه الحاجات.[1]

إن الكثير من حالات الصدام التي نمر بها شعوري، ولكن بعضها يبقى في مستوى اللاشعور، كما أن بعضها الآخر يبدو شعوريًا، ولكنه ينطوي في الأعماق على عناصر لا شعورية، ويحدث الصدام اللاشعوري في البناء العميق للشخصية، كما سنجد لدى شاعرينا، ويكون بعيدا عن وعي صاحبه وليس في مستوى شعوره، وعملية اكتشافه ليست سهلة. لذلك أحاول جاهداً الكشف عن هذا الصدام السيكولوجي المتجلي شعريا/إبداعيا لدى تأبط شرًا والبحتري على الرغم من اختلاف عصريهما.

هندسة البناء الدرامي في الشعر العربي القديم:

تعد الخطابات الشعرية بناءات لمكنونات سيكولوجية قوية، تجتاح نفسية الشعراء فتنبثق عنها ردود تعبيرية قوية وعميقة، بعمق الوقائع التي تعترض الشعراء ومن ثم يغدو مخزون القوى الدلالية المؤسسة على المعاناة والأحاسيس المعبر عنها لدى الأديب الشاعر الجاهلي عاكسا شبكة من التفاعلات والتناقضات النفسية.

كما يعد عالم الإبداع الشعري العربي القديم عالما دراميا بامتياز،عاكسا ريادة كل أشكال الدراما العربية الموسومة بمختلف الألوان الدرامية المعبرة عن الرحيل والحرب والحب والموت، على الرغم من ارتباط التعبيرات خطيا بالعنصر النسوي المجلي عادة للهدوء والسكينة غير أن هذا الهدوء الجنسي تغمره قوى صراع دائم مليء بالحركية والحيوية والتناقض وعدم الثبات وعدم الاستقرار العاطفي.إنه صراع سيكولوجي دائم مع الذات والآخر وهو الكون والمرأة والطبيعة والغيب والذات الباطنية في صياغات إبداعية تتسم بجدلية خفاء وتجل على حد تعبير كمال أبوديب.

"ولما كانت الدراما تعني (الفعل) أو الجدل، وهو ما يأتي عبر الأحداث والتجربة الإنسانية بما تشمله من آلام وأفراح يمر بها الأفراد أو الجماعات، وإن كانت الدراما قديمة وكاملة المعالم في فن المسرح، فإنها في فن الشعر مكثفة مضغوطة الحضور.

ولقد ظلت الدراما مرافقة للشعر العربي على مر العصور حتى العصر الحديث، فنراه في القرن العشرين قد تطور تطوراً ملحوظاً نحو المنهج الدرامي، وهذا لا يعني كتابة المسرحيات الشعرية (كمسرح شوقي) لأن المسرحية عمل درامي بالضرورة، إنما المقصود هو تحول المسرح إلى مسرح فكر".[٢]

---

(١) يقسم علماء النفس الدوافع إلى فئتين وهما الدوافع العضوية أو الفسيولوجية، والدوافع الاجتماعية وحاجات الإنسان أو دوافعه. هناك حاجات أخرى كثيرة نفسية وروحية، بعضها هام وضروري لتحقيق أمنه وسعادته، وهو يشعر أيضا بالحاجة إلى الإنجاز والنجاح والتفوق وتحقيق طموحاته في الحياة، مما يكسبه الثقة بالنفس، ويحقق له الشعور بالرضا النفسي والسعادة .

(٢) العجمان، أمجد لطفي، البناء الدرامي في الشعر الدرامي، منشورات جامعة عين شمس جمهورية مصر العربية.٢٠١٢.

تتجلى جمالية الشعر العربي القديم في تناقض قضاياه. فالتحول يعني الثبات والاستقرار يعني الرحلة، والحوار يعني الصمت، والعكس صحيح، والزمان يحيل على المكان، وسيادة الأسلوب القصصي والشكل المسرحي مصوغ بناء على منطق مرن وأحيانا فوضوي في التعامل مع الأحداث، والزمان والمكان والحوار عناصر شكلت البناء داخل النص القديم، "فالشاعر يرسم صورة كلية مكتملة الجوانب الفنية حتى نراه يهتم بالألوان الدرامية والتي لها بواعث نفسية وعلامات ودلالات كما في قوله (يوم – ليل – عرصات – بعر).. إلى غير ذلك".[١]

إن أي رصد لبنية الدراما في الشعر العربي القديم، يمثل رصدًا للمشهد الشعري القديم الذي غدا مجالا خصبا للدراسات النقدية معاصرها بخاصة. إذ ارتبطت الدراما الشعرية بالذات الشاعرة، بشكل نسقي، وتداولي وغدا الشاعر العربي القديم مرتبطا بعمق، وعنف في الوقت ذاته بعالم الدراما، عبر أنظمة درامية ذات طابع تداولي معرفي مثل: منظومة الرحيل المتجلية في الصدام، ومنظومة العشق التي يمكن ربطها بالذكاء الوجداني لدى الشعراء العرب القدامى، ومنظومة الفراغ الكوني، المرتبطة بالتعلق بالماضي المرتبط مصيره بالمستقبل لإعادة أحداث، ووضعيات نمطية للحياة السلطوية المفقودة في غياهب الصراعات القبلية والأعراف، والتقاليد العربية الممتدة عبر تاريخ القبائل العربية. الدراسة المقطعية مجموعة من عناصر الدراما التي وظفت جزئيًا لدى بعض الشعراء، ومثَّل توظيفُها ملمحًا بارزًا، مثل (القصة الدينية عند أمية بن أبي الصلت)، و(القصة الاجتماعية عند الحطيئة)، وتنوع التشكيل الدرامي في ديوان أبي نواس، و(الصراع الداخلي في صورة الآخر عند تأبط شرا والبحتري، كما جاء في هذه الدراسة.

الصدام الداخلي في صورة الآخر عند تأبط شراً:

توطئة:

يعد تأبط شراً [٢] من الشعراء الصعاليك وهو من قبيلة فهم، وكانت معظم غاراته على هذيل وبجيلة وقد توفي سنة ٥٣٠ م، أدت العوامل الاقتصادية، والاجتماعية دوراً كبيراً في نشوء حركة الصعلكة التي كست المجتمع الجاهلي، حيث إن شعر الصعاليك وأخبارهم يتصل بمشكلة الفقر والغنى في المجتمع الجاهلي، وينادي بثورة المستضعفين من الفقراء، والمضطهدين فيه على طبقة الأغنياء، وخاصة البخلاء منهم، وأن هذه الثورة تستهدف تحقيق صورة من صور العدالة الاجتماعية، والتوازن الاقتصادي في المجتمع، فإن هذا كله لا يمنع القول إن هذه الأفكار كانت تنطوي على إحساس عميق بمشكلات المجتمع الاقتصادية ومحاولة جادة لحلها، وأن هذا بدون شك يمثل صراعاً بين طبقات الفقراء الشعراء الصعاليك، وطبقة البخلاء الأغنياء.

---

(١) المرجع نفسه.

(٢) هو ثابت بن سفيان بن عميثل بن عدي بن كعب بن نفيل بن حرب بن تميم بن فهم بن عمرو بن قيس عيلان بن مضر بن نزار وأمه امرأة يقال لها أميمة، يقال إنها من بني القين بطن من فهم، وله في لقبه روايات كثيرة؛ منها أنه رأى كبشاً في الصحراء فحمله حتى قرب من الحي ثم ثقل عليه فرمى به فإذا هو الغول، فقالوا له ما تأبطت يا ثابت قال: الغول، قالوا: لقد تأبط شراً. يصفه قومه من فهم بأنه كان أعدى ذي رجلين وذي ساقين وذي عينين، ومن تفسير لقبه أيضاً؛ أنه أقبل على أمه يوماً وهو يحمل جرة تحت إبطه وهي مليئة أفاعٍ فقالت ويلي تأبط شراً فأطلق عليه اللقب.

وقد انقسم الشعراء الصعاليك إلى طائفتين، طائفة قبلت هذا الوضع الاجتماعي الذليل رهينة لضعف النفس والجسد، وطائفة رفضت ذلك الوضع، وأبت أن تعيش تلك الحياة التافهة المهينة، ووجدت أن قوة النفس والجسد وسيلة تشق بها طريقها في الحياة[١].

ومن هنا نرى أن حياة الشعراء الصعاليك في المجتمع الجاهلي هي تلك الحياة التي تقوم على الغزو والإغارة والسلب والنهب.

الصدام الداخلي في صورة الآخر عند تأبط شراً:

من أقوى اللحظات التي تستدعي التأمل في مختلف تجليات الإنتاج الشعري هي لحظة تبين وكشف عن بواطن ومكنونات قصائد الشعر العربي القديم.

يتمثل صدام الشاعر مع الغول مشكلا صداما ميثيولوجياً بوصف الغول كائنا خرافيا يتصف بالبشاعة والوحشية والضخامة وغالبا ما يتم إخافة الناس بقصصه. علما أنه يعد من إحدى المستحيلات الثلاثة عند أهل الجزيرة العربية. في الجاهلية، العرب لم تسافر بسبب الغول لقوة ذكر اسمه وجبروته وفي القاموس المحيط إن من معانيها "دابة عرفتها العرب وقتلها تأبط شراً"[٢]. لهذا وظف من لدن تأبط شراً. يقول في قصيدته[٣]:

تقولُ سُليمى لجاراتِها أَرَى ثَابِتاً يَفَناً حَوْقَلاَ
لَهَا الْوَيْلُ مَا وَجَدَتْ ثَابِتاً أَلَفَّ الْيَدَيْنِ وَلاَ زُمَّلاَ
وَلاَ رَعِشَ السَّاقِ عِنْدَ الجِرَاء إذَا بَادَرَ الْحَمْلَةَ الْهَيْضَلاَ
يفوتُ الجيادَ بتقريبِهِ ويكسُو هواديَها القسطلا

تبين هذه الأبيات نوع الصدام الحاصل بين نقيضين متجليين في مرحلة عمرية ذات خصائص سيكولوجية واجتماعية متضاربة.بين قوة الشباب وضعف الشيب فهو صدام بين ثنائية تضادية تجلي الماضي والحاضر وهو صدام يبينه شاعرنا مصوراً إياه في صيغة فضاء زمني تعيره زوجته به،بوصفه فترة عمرية ذات مظاهر فيزيولوجية تتسم بالهوان والضعف وقلة الحيلة ويصوغ الشاعر كل ذلك في شكل حوار بين الذات ومقابلتها، صوت الأنا الراغبة في الانعتاق من الحاضر الأليم بكل سلبياته بخاصة الطاقة السلبية المصاحبة للعجز في كل تجلياته التي تمثل راهنية الجسد الشاعري والطاقة الإيجابية المصوغة في صوت الشاعر الإنسان المبدع. والمتمثلة في ماض يريد عودة صوت الذات الحزينة في جلباب حديث ومعاصر لقوى إيجابية ترنو إلى الانعتاق من الضعف المتهم به في صورة الزوجة الكليمة سليمى.

(١) الشعراء الصعاليك، خليف، يوسف، دار المعارف، القاهرة، ط ٣، ١٩٧٨، ج١، ص ٢١.
(٢) القاموس المحيط، الفيروزابادي، الهيئة المصرية للكتاب، الطبعة الأميرية، ج٤، ٢٦
(٣) الشعر والشعراء، ابن قتيبة، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط٢، ١٩٧٦ – ج١، ص ٣١٣ – ٣١٤.

وأدهمَ قد جُبتُ جلبابهُ كَمَا اجْتَابَتِ الْكَاعِبُ الْخَيْعَلاَ
إِلَى أَنْ حَدَا الصُّبْحُ أَثْنَاءَهُ وَمَزَّقَ جِلْبَابَهُ الأَلْيَلاَ
عَلَى شَيْمِ نَارٍ تَنَوَّرْتُهَا فَبِتُّ لَهَا مُدْبِراً مُقْبِلاَ

إن الصدام بينه وبين الحياة ممثلاً في الشيخوخة يحيله إلى الارتداد بالذاكرة للخلف ليذكر نمطاً من أنماط البطولة، ذلك النمط الذي يختفي معه الشعور بالعجز، ويحل محله الشعور بالقوة والفروسية تلك القوة التي يحاول بها أن ينتصر على الطرف المتصارع معه (الحياة / الشيخوخة) فيصور أنه اجتاز الليل البهيم الشديد الظلام في الصحراء بسهولة ويسر كما تلبس المرأة قميص نومها، وظل يطوي الصحراء إلى أن حل الصباح، فأبصر من بعيد نارا فبات يتربص بأهلها ليأخذهم على غرة حين تسنح له الفرصة.

فَأَصْبَحْتُ وَالْغُولُ لِي جَارَةٌ فَيَا جَارَتَا أَنْتِ مَا أَهْوَلاَ
وَطَالَبْتُهَا بُضْعَهَا فَالْتَوَتْ بِوَجْهٍ تَهَوَّلَ فَاسْتَغْوَلاَ
فقلتُ لها يا انظري كي تريْ فولّت فكنتُ لها أغوَلا
فطارَ بقحفِ ابنةِ الجنِّ ذو سَفَاسِقَ قَدْ أَخْلَقَ الْمِحْملاَ

ويبدأ الصدام مع الآخر الذي يمثل الحياة في كل تجلياتها، وقد استطاع الشاعر أن يجسد هذه الصفات للحياة كاملة عندما اختار هذا الحيوان الذي يتصف بهذه الصفات، فهو لم يختر حيواناً أليفاً تسهل مراودته،ويسهل اتخاذه صديقاً للإنسان، بل اختار حيواناً يتصف بالشراسة والوحشية ليكون ممثلاً للحياة كما يراها الشاعر، ويبدأ الصدام بمحاولة من الذات الإنسانية أن تخلق علاقة طيبة حميمة مع هذا الحيوان لإدراكها لقوته، ولعدم رغبتها في النزاع والصدام معه، وهذا ما يحاوله الإنسان دائماً مع الحياة أن يخلق تصالحاً بينه وبينها، وأنه كلما فاجأته بالمصائب والمتاعب واجهها بالصبر والحلم لأنه يدرك عدم قدرته على الانفصال عنها فهو جزء منها.

ومازالت الذات تحاول أن تراود هذا الغول فتجعله يحس بقوتها وعظمتها (ما أهولا) وكذلك ضعف الذات وتخاذلها أمامها، وفي صورة حسية تحاول الذات أن توطد العلاقة بينها وبين الآخر، فتطلب جماعها، والجماع لا يقصد به المعنى الاصطلاحي الشائع، بل يقصد به المعنى الإيحائي وهو الرغبة في الاحتواء، فالإنسان دائماً يحتاج إلى أن يحتوي الحياة ويطلب منها أن تحتويه، لينشئ علاقة حميمة تجعله يتخلص من هذا الصدام المرير، ولكن الحياة ترغب في أن تمنح الأمان للإنسان، فهي تدير وجهها عنه، وترفض جميع معاهدات الصلح التي يعرضها الإنسان (فالغول التوت)، وتشكل وجهها بأشكال قبيحة ومخيفة، لتعلن أنها الطرف الأقوى في الصدام ولا يزال الإنسان يطلب ود الحياة، ويعتقد أن فيها ما يرضيه.

ويعتقد أنه يستطيع أن يتحاور معها ويشكو لها حاله فتواسيه (فقلت لها يا انظري....) وحذف المنادى هنا لم يكن عفوياً، وليس بغرض صحة الوزن، وإنما قصد به الشاعر التقريب بينه وبين هذا المخلوق المخيف الذي أخفق في ترويضه وكان يأمل في أن يكون صاحباً له، ولكن الآخر مازال على عناده ونفوره من الإنسان، ووصل له من محاولات الاستعطاف وطلب الود، أن المخلوق الذي أمامه ضعيف لا يقدر على مواجهته، مما أدى إلى الاستهانة به وعدم النظر إليه كخصمين تقابلا، أحدهما قوي والآخر ضعيف، وعندما أحس القوي بقوته وبضعف خصمه تركه، وفضل ألا يقاتله لاختفاء المثل أو النظير الذي يجعله يحس بالنصر إذا انتصر عليه، وبالشجاعة إذا هزم أمامه، فتولى الغول ترك الذات، وفي هذه اللحظة تنفجر فيها الذات معلنة تمردها على الحياة ورغبتها في سفك دمائها، والمراد بالقتل هنا عدم اهتمام الإنسان بالحياة والاندفاع في الملذات ونسيان القدر وتصرفه في محاولة خادعة للإحساس بالنصر، والذات لم تنتصر على الآخر انتصار الفارس الشجاع الذي يواجه خصمه بشجاعة وقوة ويتقاتل معه فيصرعه، وإنما كان الانتصار انتصار المخادع الذي يدرك قوة خصمه وعدم قدرته على مواجهته فينتظر حتى يعطيه ظهره فيقتله من الخلف (فولت فكنت لها أغولا....) وكأن الإنسان مهما فعل لن ينتصر على الحياة، لكنه يحاول ذلك والانتصار الذي لا يستطيع أن يحرزه على مستوى الحقيقة يحققه على مستوى الخيال والحلم، ليظل الصدام بين الذات والآخر مستمراً لا ينتهي.

غَظَاءَةُ قَفْرٍ لَهَا حُلَّتَا نِ مِنْ وَرَقِ الطَّلْحِ لَمْ تُغْزِلاَ
فمن سالَ أين ثوت جارتي فإنَّ لها باللِّوى منزلا
وكنتُ إذا ما هممتُ اعتزمتُ وأحرِ إذا قلتُ أنْ أفعَلا

وفي صورة أسطورية غريبة تؤكد فرضية الوجود وعدمية الموت وبقاء الصدام، يصور الشاعر الغول، وكأنها دويبة من فصيلة الزواحف تعيش في الصحراء وتتغطى بورق الشجر، وهذه الأوصاف تجرى على الحية، فهي لها خاصيتان تمنحانها الحياة والدوام، هما دفن رأسها في الرمال نوعا من أنواع الحماية، وتغيير جلدها ليتناسب مع لون الطبيعة كي لا يراها أحد أو يتمكن منها، وقصد الشاعر بذلك أن الحياة تتغير، وتأتينا في يوم بوجه يختلف عنه في اليوم التالي، وكأنه يريد أن يصفها بالمكر والدهاء الشديدين، وأن يثبت وجودها وتمسكه بها مهما فعلت به، فعندما يسألونه عن جارته؟ فسيجيبهم بأنها مازالت تسكن معه وتعيش بداخله، وسيظل الطرفان في صراع دائم لا ينتهي إلا بموت الذات لتغلق صفحة الصدام بينها وبين الحياة.

هل لازال الصراع بين الإنسان والحياة مستمراً مهما تباعدت العصور، واختلفت دوافعه، ومراحله، ونتاجه؟ نعم؛ فالعلاقة بين الإنسان والحياة علاقة ضدية تنبع من إحساس الإنسان بالقوة القدرية التي تفرض عليه سيطرتها، وهو غير قادر على مواجهتها، لكن الإنسان يتمرد على الواقع، لتغييره، وتحطيمه، وإثبات الذات، لخلق واقع آخر

أكثر أمانا، وسلما، واطمئنانا، واستقرارا، بأنساق وأنظمة أكثر نمطية، ومثالية. فهل تبدت تجلياتها عبر العصور؟ وهل استطاع الإنسان التغلب على المعادلة القائمة على تبادل الأدوار بين الإنسان والحياة؟ هذا ما يمكن تمثله، وصوغ آلياته مع الشاعر البحتري.

الصدام الداخلي في صورة الآخر عند البحتري:

توطئة عن البحتري[١]:

ولد أبو عبادة أبو الحسن الوليد بن عبد الله بن يحي البحتري الطائي القحطاني ببادية منبج ببلاد الشام بين الفرات وحلب، عام ٨٢١م، وتوفي سنة ٨٩٨م [٢]، ومات أبوه في صغره؛ فنشأ رقيق الحال بين أهله الطائيين، وحفظ ما تيسر من القرآن الكريم وتأدب بآداب عصره من مبادئ علوم العربية والإسلام، وعلم أنه سيعيش شاعراً، فولى وجهه شطر الشعر حيثما كان.

أجلهُ علماء عصره، ورووا عنه شعره، وعلى رأسهم أبو العباس المبرد، وأبو بكر الصولي، وغيرهم. وقد كتب الباحثون والدارسون والنقاد والأدباء قديماً وحديثاً العديد من المؤلفات والدراسات والرسائل والبحوث التي تناولت أخبار البحتري وحياته وشعره ومنزلته بين شعراء عصره بخاصة وشعراء العربية بعامة.

ما أجمع عليه النقاد – على مر الأيام والليالي –أن البحتري كان قمة بين قلل [٣] الشعر الشاهقة، على عنفوان عصره، وامتلائه بالشعراء في كل الأرجاء، لكنه استطاع الصمود والخلود.

وما اختلف النقاد فيه هو التفضيل بينه وبين أبي تمام، أو ابن الرومي، أو المعري، أو المتنبي، لكنه اختص من دون الجميع بأوصاف لم تصدق إلا عليه، من أهمها أن شعره كان ديباجة حسنة [٤].

---

(١) هذا اختصار لتراجمه المتعددة، أغنت شهرة الشاعر عن نقلها، راجعها في كل من:

- أبو الفرج محمد بن إسحق النديم المتوفي ٣٧٧هـ: الفهرست: تحقيق أيمن فؤاد السيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن ١٤٣٠—٢٠٠٩، المجلد ١، القسم ٢، ج٣، ص ٥٢٩.
- ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٣، ط١، ج٦، ص ٢٧٩٦– ٢٨٠١.
- أبو الفداء إسماعيل عماد الدين بن عمر بن كثير الدمشقي المتوفي ٧٧٤هـ: البداية والنهاية، تحقيق عبد الله عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، القاهرة، ١٤١٩– ١٩٩٨، ج١٤، ص ٦٨٠.
- عبد العزيز سيد الأهل: عبقرية البحتري، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٣، ط١.
- أحمد أحمد بدوي: حياة البحتري وفنه، لجنة البيان العربي، دار الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٥.
- محمد صبري: أبو عبادة البحتري درس وتحليل، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٤٦، ط١.

(٢) هذا التقدير وكذا تقدير الوفاة مختلف عليهما بين المؤرخين، وقد اتبع الباحث تقدير محقق الديوان، ص ٣٥، من مقدمته.

(٣) قُلل: جمع قُلة، وهي أعلى الجبل، قال تأبط شراً: وقلَّةٍ كسنان الرُّمح بارزةٍ ، ضَحْيَانَةٍ فِي شُهُورِ الصَّيْفِ مِحْرَاقِ.

(٤) انظر: تاج العروس من جواهر القاموس: محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى الزبيدي، طبعة الكويت، الطبعة الثانية، مادة (د.ب.ج).

الصدام الداخلي في صورة الآخر عند البحتري:

يتسم الصدام السرمدي بين الإنسان والكون بالاستمرارية البينية المتحققة في كل الأزمنة وهي سنة فرضتها نوعية العلاقة بين الكائنات البشرية والحياة التي تواكب هذه الكائنات السامية فوق كل الكائنات.

إن هذه العلاقات الضدية غالبا ما يتملكها البحث عن قانون الجذب الذي يحاول أن يربط العنصر البشري بمتناقضاته الكونية.

فالعلاقة بين الإنسان والحياة علاقة ضدية تنبع من إحساس الإنسان بالقوة القدرية التي تفرض عليه سيطرتها، وهو لايقدر على المقاومة، فيظهر عدم التكافؤ بين المتصارعين ولكن الإنسان يتمرد على الواقع، ويسعى جاهداً إلى تغييره وتحطيمه ليخلق له واقعاً جديداً يتناسب مع أحلامه وآماله، مما يخلق منه نداً عنيداً للمتصارع معه (الحياة)، ولكن لمن سيكون النصر. ولمن ستكون الهزيمة؟ أظن أن طرفي النصر والهزيمة يتبادلان المواقع في هذا الصدام ليبعثا فيه ديمومة واستمرارية، فهو لا ينتهي حتى لو انتصر طرف على آخر على مستوى الحقيقة.[1]

نجد هذا الصدام الداخلي في صورة الآخر عند البحتري في قصيدة من أهم وأشهر ما كتب البحتري في حياته، تلك القصيدة الدالية رقم (٢٨٩) في ديوانه، قال الأستاذ حسن كامل الصيرفي محقق الديوان[2] إنه كتبها حوالي عام ٢٢٦ هـ، فالبحتري كتب هذه القصيدة وعمره اثنان وعشرون عاماً أي في مرحلة عمرية تتسم بقوة المخيلة وعمق الإحساس وبعد النظر المصحوب بالإصرار والاستمرارية في البحث عن تحقيق الهدف وانجاز كل أحلام الشباب.

فالصدام هنا لدى شاعرنا البحتري صدام بين تملك الحياة وامتلاك القدرة على مواجهة التحديات للوصول إلى المبتغى المادي والعاطفي، إنه صدام دائم لخلق توازن طبيعي بين الأنا المتطلعة إلى تحقيق الذات، والآخر المتحدي لهذه الأنا.

لكن الذكاء العاطفي الذي يسم كل الكائنات البشرية منذ الأزل هو المفسر للترابط والتصادم – في الوقت نفسه – بين روح رقيقة تتجلى فيها ملامح الحب والفروسية والشجاعة، وأرواح تظهر لها العداء، وتتربص بها. وتنتظر الفرصة لتنال منها.

الصورة الأولى: الحياة / التحديات [3]:

أأحبَابَنا قَدْ أنجَزَ البَينُ وَعْدَهُ وَشيكاً، وَلَمْ يُنْجَزْ لنَا منكُمُ وَعْدُ

أأطلالَ دارِ العَامرِيّةِ باللّوَى سَقَتْ رَبعَكِ الأنوَاءُ، ما فعلَتْ هندُ؟

(١) عماد حسيب محمد ابراهيم، االبناء الدرامي في الشعر العربي، دار شمس للنشر، ٢٠١٣.ص ١٩٤

(٢) هامش ديوان البحتري، تحقيق حسن كامل الصيرفي، المجلد الأول، دار المعارف بمصر، ط ٢.

(٣) نفسه، ص ٧٤٠- ٧٤٥.

أَدَارَ اللّوَى بَينَ الصريمَةِ والحمَى أمَا للهّوَى، إلاّ رَسيسُ الجَوَى قَصْدُ
بنَفْسِيَ مَنْ عَذّبْتُ نَفسِي بحُبّهِ وإنْ لمْ يكُنْ منهُ وِصَالٌ، وَلاَ وِدّ
حَبيبٌ مَنِ الأحبابِ شطّتْ بهِ النّوَى وأيُّ حَبيبٍ ما أتَى دونَهُ البُعْدُ

يتجلى في هذه الأبيات تصوير فني رائع لعلاقة عاطفية نبيلة، تحاول أن تبين محبوبة الشاعر التي تركته في وقت كان بحاجة إلى لقياها. غير أن تخيلها وهي معه يعوض غيابها عنه، وهو يصارع القدر المسؤول عن غيابها وفراقها فهو يحبها ويعشق ذاتها ويهوى جلوسها ويتمنى القرب منها. إلا أن الأقدار تفرق بينهما وتحدد نقطة الفراق المصيري بينهما مما أفقد الشاعر كل الثقة في ذاته وفي غيره. انه تحل سيكولوجي لأزمة نفسية تعتري الإنسان حينما يصل إلى مستوى متدن بسبب صدام ملؤه الغضب العارم، وفقدان الثقة بالذات والآخر.

يظهر هذا الصدام الذي عبر عنه شاعرنا "في لغة الحوار بين الخبر والإنشاء، مستخدماً الاستفهام الإنكاري (أمالكم، ما فعلت، أما للهوى..) ذلك الاستفهام الذي يفجر ما بداخل الذات من صراع يخلق جواً من الحيرة ينبع من عدم تصديق الذات للحدث،وإيمانها بعدم فرضيته، وإيمانها بأن قانون الحياة كان قاسياً عليها عندما أراد التفريق بينها وبين من تحب، ولغة الخبر تؤكد تصرف القدر في هذه العلاقة فالبين حل محل الوعد، والعذاب حل محل الوصال والود، ويصل الصدام إلى ذروته عندما تتحد الذات المحبة مع الذات الراحلة ليتولد من القرب العذاب، ومن الاتحاد الفرقة والأسى (بنفسي من عذبت نفسي بحبه)".[١]

- **الصورة الثانية للآخر: الأهل / الصحراء:**

إذا جُزْتَ صَحْرَاءَ الغُوَيْرِ مُغَرّباً وَجَازَتْكَ بَطْحَاءُ السّوَاجيرِ يا سَعْدُ
فقُلْ لبَني الضّحّاكِ: مَهْلاً، فإنّني أنا الأُفْعُوَانُ الصِلُّ والضّيغمُ الوَرْدُ
بَني واصلٍ مَهْلاً، فإنّ ابنَ أُختكم لَهُ عَزَماتٌ هَزْلُ آرَائهَا جِدّ
متى هِجْتُمُوهُ لا تَهيجوا سوَى الرّدى وإنْ كانَ خِرْقاً ما يُحَلُّ لَهُ عَقْدُ
مَهيباً كَنَصْلِ السّيفِ لوْ قذفت بهِ ذُرَى أجإٍ ظَلّتْ وأعلامُه وَهْدُ
يَوَدُّ رِجَالٌ أنّني كُنتُ بَعضَ مَنْ طَوَتْهُ المنايا، لا أرُوحُ وَلا أغدُو
وَلَوْلا احتمَالي ثِقْلَ كُلّ مُلمّةٍ تَسُوءُ الأعادي، لم يَوَدّوا الذي وَدّوا
ذَرِيني وإيّاهُمْ، فحَسبي صَرَيمَتي إذا الحَرْبُ لمْ يُقدَحْ لمِخْمِدِها زَنْدُ
وَلي صَاحبٌ عَضْبُ المِضَارِبِ صَارِمٌ طَوِيلُ النِجَاد، ما يُفَلُّ لَهُ حَدّ
وَبَاكِيَةٍ تَشْكُو الفرَاقَ بأدْمُعٍ تُبَادِرُها سَحّاً، كَمَا انتَثَرَالعِقْدُ

(١) مرجع سابق. ص ١٩٤

رَشَادَكِ لا يُحْزِنْكِ بَينُ ابنِ همّةٍ يَتُوقُ إلى العَلْيَاءِ لَيسَ لَهُ نِدّ
فَمَنْ كَانَ حُرّاً فَهْوَ للعَزْمِ والسُّرَى وَللّيلِ من أفعالِهِ، والكَرَى عَبدُ

يتمثل الآخر في هذه القصيدة المليئة بالتوتر والصدام والجدل مع الذات ويعد الأهل من أسباب الصدام وكأن الشاعر يصور لنا ظلم ذوي القربى الأشد على القلب من غيرهم من الأغيار، فظلم ذوي القربى أشد وقعا من وقع الحسام المهند. وهكذا غابت مشاعر الألفة العاطفية والحركية المرتبطة بالتغير الدائم والأنس المستمر باستمرار الثقة في القوى الباطنية والمؤهلات الكامنة في باطن الإنسان. إلا أن الأمور بخواتمها، حيث إن الشاعر يصدم بفاجعة الصدام المباشر مع الأقرب وهم أسرته.

والشاعر هنا يتصارع مع بني خؤولته وبني واصل، وتأخذ الشاعر روح الفخر التي تخفي وراءها صراعاً عميقاً يجتاح نفس الشاعر ويثقلها فالشاعر يرغب في تمكين ذاته من تجاوز الصدام مع الأهل والأقربين معبراً عن تجاوز هذا الصدام بالتعبير عن قوة إرادته في رفع الستار عن مكنوناته رغبة منه في تبين قوته في ضعف الآخرين بخاصة أهله فهو لا يخشاهم حتى وصل الأمر بينهم لصراع دموي وقتال لإثبات الذات.

انه صدام فعلي بين الرغبات والحدود الموجبة لإعلان الشاعر عن قوة شخصيته الموجب لها ضعف الآخرين بلغة اعتزاز "جعلت من الصدام صراعاً راكداً بطيء الحركة والتأثير وقد استعان الشاعر لإبرازه بشخصيتين غائبتين ليس لهما دور في الحدث، لكنهما يعليان من درجة الصدام، هما سعد الذي يطلب منه الشاعر أن يذكر لأقاربه أنه ليس الفتى الضعيف بل هو الأفعوان والضيغم،أي الذي يجمع بين الدهاء وشدة المراس، وحبيبته التي تدل عليهما ياء المخاطبة في الفعل (ذريني) تلك التي يطلب منها أن تتركه هو، وأهله فهو قادر على هزيمتهم إذا نشبت بينه وبينهم حرب."[1]

- **الصورة الثالثة للآخر: (الذئب)**

وَلَيْلٍ، كأنّ الصّبحَ في أُخرَيَاتِهِ حُشَاشَةُ نَصْلٍ، ضَمّ إفرِندَهُ غِمدُ
تَسَرْبَلْتُهُ والذّئْبُ وَسْنانُ هاجِعٌ بعَينِ ابنِ لَيلٍ، ما لهُ بالكَرَى عهدُ
أُثيرُ القَطا الكُدْرِيَّ عَنْ جَثَماتِهِ وَتألَفُني فيهِ الثّعَالبُ، والرُّبْدُ
وأطْلَسَ مِلْءِ العَينِ يَحملُ زَوْرَهُ وأضْلاعُهُ منْ جَانبَيْهِ شَوى نَهْدُ
لَهُ ذَنَبٌ مثلُ الرِّشَاءِ يَجُرّهُ وَمَتنٌ كَمَتنِ القَوْسِ أعوَجُ، مُنْأدّ
طَوَاهُ الطّوَى حَتّى استَمَرّ مَرِيرُهُ وما فيهِ إلاّ العَظْمُ والرّوحُ والجِلْدُ
يُقَضْقِضُ عُصْلاً، في أسرّتها الرّدى كقَضْقَضَةِ المِقْرُورِ، أرْعدَهُ البَرْدُ

(١) المرجع نفسه.

سَمَا لي، وَبي منْ شدّةِ الجوعِ ما به ببَيداءَ لَمْ تحسسْ بها عَيشَةٌ رَغْدُ
كلانا بها ذِئْبٌ يُحَدّثُ نَفْسَهُ بصَاحبِهِ، والجَدُّ يُتْعِسُهُ الجَدّ
عوَى ثمّ أقْعَى، وارتَجَزْتُ، فهِجْتُه فأقْبَلَ مثْلَ البَرْقِ يَتْبَعُهُ الرّعْدُ
فأوْجَرْتُهُ خَرْقَاءَ، تَحسبُ رِيشَها على كوْكبٍ يَنقَضُّ واللّيلُ مُسوَدّ
فَما ازْدادَ إلاّ جُرْأةً وَصَرَامَةً وأيْقَنْتُ أنّ الأمْرَ منْهُ هوَ الجِدّ
فأتْبَعْتُهَا أُخرَى، فأضْلَلْتُ نَصْلَها بحَيثُ يكونُ اللُّبُّ والرُّعبُ والحِقْدُ
فَخَرّ وَقَدْ أوْرَدْتُهُ مَنهَلَ الرّدَى على ظَمَإٍ، لَوْ أنّهُ عَذُبَ الوِرْدُ
وَقُمْتُ فجَمّعتُ الحَصَى، فاشتَوَيتُه عَلَيْهِ، وللرّمضَاءِ من تحته وَقْدُ
وَنلْتُ خَسيساً منهُ، ثمّ تَرَكْتُهُ وأقْلَعْتُ عَنهُ، وَهْوَ مُنْعَفِرٌ فَرْدُ

تُجسد هذه الأبيات صراع الشاعر مع الذئب، وهو نمط من أنماط صراعه مع الحياة في صورة درامية عالية، جمع الشاعر فيها بين الصوت والحركة واللون، تلك الإمكانات الدرامية التي منحت الآخر بعداً نفسياًعميقاً، وخلقت منه نداً عنيداً للشاعر مما جعل الصدام صاعداً يتصف بالتدرج والتأثير.

ويبدأ الشاعر صدامه بتحديد الزمان والمكان، فالزمان من ناحية التحديد الفضائي هو الليل بكل ما يحمله من خوف وقلق وظلمة، أما الزمان الصدامي فهو ذلك الزمان الذي يجمع بين السواد والبياض، والبيت يمنحنا تلك الدلالات اللونية، فالليل يقابله الصبح أبيض، و(للإفرند) جوهر السيف (أبيض)، يقابله (الغمد) دال على الأسود، واجتماع السواد والبياض يمنح الإحساس بالرمادية، فالزمان الصدامي زمن رمادي تغيم فيه الرؤى، وتختفي فيه الملامح ويتصف بعدم التحديد للأشياء.

أما عن المكان فهو صحراء قاحلة تحمل دلالات الوحشة والوحدة والمدى البعيد والتهيب والاستعداد للمفاجآت القادمة.

وعن الشخصيات يظهر لنا الشاعر الطرف الأول في الصدام، ونظيره (الذئب) الطرف الثاني، ثم مجموعة من الحيوانات الأخرى مثل الأسد والثعالب والقطاء.

ويبدأ الصدام من لحظة الحلول، حلول الشاعر بالمكان ولقائه الذئب وهو وسنان هاجع، وهي تلك الرؤية البصرية التي تتلقاها العين من بعد، ولكن الرؤية الصدامية تقتضي الترقب والتربص، فالذئب ينام بعين مفتوحة وعين مغلقة حتى يترقب القادم، ومن هنا فكلاهما يتلصص على الآخر، فالشاعر يخاف الذئب، ولا يأمن مواجهته، والذئب ينتابه شعوران متضادان؛ شعور الخوف من الإنسان ومن مواجهته وشعور الجوع الذي يدفعه لتلك المواجهة.

ثم يبدأ الشاعر في وصف هذا الغريم بأوصاف تساعد في توضيح دوافع الصدام، وتنوع الصورة الوصفية بين الحركية والبعد الصوتي واللون، ويبدأها الشاعر باللون، ذلك اللون الوحيد المشبع بالغمام والضبابية الشديدة والدال على الموت، إنه اللون الأسود لون الذئب، فقد استخدم الشاعر لونين في وصف الذئب الكدري، وهو لون مائل للسواد والغبرة، والأطلس: وهو أغبر إلى سواد.

ثم تأتي الصورة الحسية، تلك التي تصف أضلاعه القوية وظهره المقوس، وغيرها من أوصاف تخلق الخوف والرهبة في نفس المتصارع معه (الشاعر) ثم يأتي الشاعر بصورة تبين دافع الصدام عند الذئب وهو الطوى، فيصف الذئب من شدة الجوع بأنه لم يعد فيه إلا العظم والجلد والروح المتحفزة التي تنتظر النجاة أو الموت.

ثم تأتي الصورة الصوتية لتعبر عن حال الذئب الجائع (يقضقض) التضعيف بالقاف والضاد ثم توالي حروف الصاد والسين والراء والدال (عصداً في أسرتها الردى) تنقل لنا الإحساس بصوت القضقضة، فالذئب تصر أسنانه صريراً كرعدة من استبداد البرد الشديد بأوصاله.

إذن فدافع الجوع لدى الذئب سيدفعه حتماً للصراع مع غريمه القادم، وهذا يقدم للصورة الحركية (سما لي) ولا ينسى الشاعر أن يوضح دافعه هو أيضاً للصراع مع الذئب، ذلك الدافع الذي يكاد يتشابه مع دافع الذئب وهو الجوع، ولكن إذا كان الجوع عند الذئب ينتهي بالتهام فريسته والانتصار عليها والتفكير في أخرى، فالجوع عند الشاعر لا ينتهي عند هذا الحد،بل ينتهي بالانتصار الدائم على الحياة، ولعل لغة التوحد التي يعقدها الشاعر بينه وبين الذئب (كلانا) تجسد الصدام بينه وبين الحياة، فالشاعر مما أصابه من أزمات في الحياة ومتاعب صار مثل الذئب الذي يريد التهامه وافتراسه.

ثم يبدأ الالتحام بين المتصارعين الشاعر والذئب، وتكون المبادرة من الذئب، والبداية صوتية (العواء) والغرض منها تخويف الغريم، ومحاولة الإضعاف من قوته، ثم تأتي حركة الاستعداد (أقعى) أي جلس على مؤخرته، ثم يتحرك الغريم فيصدر صوتاً مماثلاً لما فعله الذئب، صوتاً عالياً بغرض التخويف وتشجيع نفسه، ولأن استعداد الذئب أعلى من استعداد الشاعر، وتلهف الذئب على غريمه أسرع، لم يلتفت للصوت ولم يهتز (فأقبل مثل البرق يتبعه الرعد)، وقد جمع الشاعر في وصفه إقدام الذئب بين اللون الذي يمثله (البرق) والصوت الذي يمثله (الرعد) لتأكيد قوة المتصارع معه وإصراره على الصدام، ثم تأتي الحركة الثانية، وتكون المبادرة في هذه المرة من الذات الإنسانية (الشاعر) فيوجه له سهماً يشبهها (بالخرقاء) وهي تلك الريح التي لا تدوم على جهتها في هبوبها، والمعنى أن التوجيه كان خائباً لأنه توجيه الخائف الذي لا يملك زمام الأمور، ويوجه بغرض الدفاع عن النفس، لا من أجل إحراز النصر، ويأتي رد الفعل من الطرف الآخر غاضباً رافضاً للاستسلام معلناً استمراره في الصدام وإصراره على إحراز النصر(فما ازداد إلا جرأة وصرامة).

وعندما يتأكد الشاعر من قوة الآخر، ويعلم أن الخوف سوف يجعله يخسر الجولة معه يتحرك من داخله دافع النصر القديم، وتتداعى أمام عينيه جولاته الخاسرة مع الحياة، مما يجعله يدقق التصويب ويحكمه، فيصوب السهم ليصل إلى هدفه، فيكون مكانه القلب الذي إن أصيب تستحيل بعده الحياة، ويخر الذئب قتيلاً لتنتهي جولة الصدام بانتصار يحسه الشاعر انتصاراً رخيصاً لأن الدافع للقتل كان دافعاً مادياً،مما جعل المنتصر يشعر بالندم، وخلق الأعذار للطرف الآخر، فبعد المواجهة والقتل انتفى الغرض المادي، وبدأ يظهر ما وراءه من صراعات نفسية مع المتصارع الحقيقي (الحياة)، فعلى الرغم من دافع الجوع لدى الشاعر فإنه لم ينل من الذئب إلا قليلاً ثم تركه، لأنه أحس بالندم لقتله، وأحس أنه ليس الغريم الحقيقي الذي يستحق القتل، وإنما تدافعت الأقدار لتضع نهاية لهذا الصدام.

ويندفع الشاعر بعد هذه الرحلة الطويلة التي جسدت صراعه مع الآخر سواء كان الآخر محبوبته الراحلة أم أهله المتربصين به، أو الذئب الذي كان متحفزاً لالتهامه، ليؤكد أن الصدام كان مع الحياة والقدر بكل ما يحملانه من ظلم له، ومن قسوة في تحديد المصير:

لَقَدْ حَكَمَتْ فينا اللّيالي بجَوْرِها وَحُكمُ بَناتِ الدّهرِ لَيسَ لَهُ قَصْدُ
أفي العَدلِ أنْ يَشقَى الكَرِيمُ بجَوْرِها ويأخُذَ منها صَفوَها القُعدُدُ الوَغْدُ

ثم ينتهي بالتسليم بحتمية القدر، وينهي صراعه مع الحياة على قرار العيش فيها غير مبال وغير مهتم، وينتظر تصرفها فيه فإما أن تمنحه الغنى فيعيش حياة رغدة، وإما أن تمنحه الفقر والذل فيعيش فيها جاهداً متعباً ينتظر الموت:

ليَعْلَمَ مَنْ هَابَ السُّرى خَشيةَ الرّدى بأنّ قَضَاءَ الله لَيسَ لَهُ رَدّ
فإنْ عشتُ مَحموداً فمثلي بغَى الغنى ليَكسِبَ مالاً، أو يُنَثَّ لَهُ حَمْدُ
وإنْ مُتُّ لَمْ أظفَرْ، فلَيسَ على امرئ غَدا طالباً، إلاّ تَقَصّيهِ، والجُهْد

خاتمة:

يبدو أن العمل على شعر تأبط شرًا، والبحتري خطوة عظيمة في القراءة المنهجية بسبب مكانتهما، باعتبارهما تجليين للنماذج الشعرية الأكثر إثارة للجدل. لذلك، ومن خلال تطبيق مفاهيم الشعرية المعرفية، والتي يمكن أن تكون خطوة إلى الأمام في مجال النقد النصي الذي يبدو أنه يعاني من عدم وجود أساليب دقيقة ومنهجية. حيث إن عددا قليلا جدا من الدراسات الأدبية تتم عن طريق هذا النهج في العالم العربي، كما أن تحليل النصوص الشعرية من خلال مثل هذا النهج النفسي المعرفي الذي قمت به، والمتمثل في البحث في حفريات المعرفة النفسية الإدراكية، مؤسس على آليات علم نفس شعري معرفي، يمكن أن يقترح طريقة جديدة للنظر إلى النص الشعري بصفته عالما معرفيا

وإدراكيا. ونتيجة لذلك، مثلت في هذا المقال كيف يمكن لبحث نسق الصدام السيكولوجي الداخلي، والتفاعلات النفسية الاجتماعية أن تظهر الجوانب الفريدة للذكاء الشعري لتأبط شرا والبحتري، وكذلك سبب نمطهما المفضل، من أجل رسم عالميهما من خلال الشعر على الرغم من اختلاف عصريهما، رغبة في نمذجة العلاقات السيكولوجية المعرفية، القائمة على الصدام من أجل البقاء على قمة الهرم الاجتماعي.

ما نلاحظ أن قصائد تأبط شرا والبحتري، تجسد نهايات مفتوحة هي نهاية صدام استخدم فيه الشاعران كل أدواتهما، بعد أن تحولت قصائدهما إلى لعبة ظنية تاهت في متاهات الشاعرين. لذلك حولا إنتاجاتهما الشعرية إلى غيمة شاعرية، أو جذوة يعرفانها ليستدلا بها على سبيل الصحيح، وتجديد الصدام مع الآخر المعنوي، والطبيعي الحيواني بخاصة، وكذلك مع الهجر والفراق، وتداعياتهما النفسية والاجتماعية، الذاتية والموضوعية، الوجدانية والكونية...من خلال:

- التركيب
- تعدد الأصوات الداخلية
- المناخ الدرامي وآليات اشتغاله
- الصدام السيكولوجي الداخلي
- امتزاج الذاتي بالموضوعي
- اختلاط الخاص/ الذات الشاعرة، بالعام/ القبيلة والمحيط السوسيولوجي
- امتزاج الوجداني بالكوني

لا ينتهي هذا النسق عند حدود ضيقة تقف عند محور الذات، بل هي هموم تنمو باتجاه فضاء الخارج في الزمان والمكان والرؤية. إنها الحكاية الأزلية الأبدية المحتدمة في شكل صدام داخلي بين الأنا/الشاعر، والآخر في كل تجلياته.

قائمة المصادر والمراجع:

- ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط٢، ١٩٧٦
- أبو الفداء إسماعيل عماد الدين بن عمر بن كثير الدمشقي المتوفى ٧٧٤هـ: البداية والنهاية، تحقيق عبد الله عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، القاهرة، ١٤١٩-١٩٩٨.
- أبو الفرج محمد بن إسحق النديم المتوفى ٣٧٧هـ: الفهرست: تحقيق أيمن فؤاد السيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن ١٤٣٠—٢٠٠٩.

- أحمد أحمد بدوي: حياة البحتري وفنه، لجنة البيان العربي، دار الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٥.
- ألأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني. مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٢٩.
- بركات عوض، شعراء غلبت عليهم ألقابهم، جريدة الصباح الكويتية، العدد ١٦١٠، السنة السادسة، ١٢ يوليو ٢٠١٣.
- الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس: طبعة الكويت، الطبعة الثانية.
- زدادقة، سفيان، مجلة الناص، أدب الغرابة، جامعة جيجل، ع ١ – ٣، أكتوبر ٢٠٠٤، مارس ٢٠٠٥.
- الصيرفي، حسن كامل، ديوان البحتري، (تحقيق)، المجلد الأول، دار المعارف بمصر، ط٢.
- عبد العزيز سيد الأهل: عبقرية البحتري، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٣، ط١.
- عبد الله بن سليمان العقل: البحتري وشعره في الوصف، رسالة ماجستير بقسم الأدب والنقد بكلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، القاهرة، مصر، ١٣٩٤- ١٩٧٤.
- عماد حسيب، محمد ابراهيم، البناء الدرامي في الشعر العربي، الناشر: دار شمس للنشر، جامعة عين شمس، ج م ع،٢٠١٣
- الفيروزابادي، القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٣.
- القاموس المحيط، الفيروز أبداي، الهيئة المصرية لكتاب، الطبعة الأميرية.
- محمد صبري: أبو عبادة البحتري درس وتحليل، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٤٦، ط١.
- المفضل بن محمد الضبي: المفضليات، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ط١.
- ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٣، ط١.
- يوسف خليف، الشعراء الصعاليك، دار المعارف، القاهرة، ط ٣، ١٩٧٨.

p-ISSN: 1652 - 7189 e-ISSN: 1658 - 7472 Issue No.: 18 ... Rajab 1440 H – APR 2019 G

Albaha University Journal of Human Sciences

Periodical - Academic - Refereed

Published by Albaha University

دار المنار للطباعة 017 7223212

Email: buj@bu.edu.sa https://portal.bu.edu.sa/ar/web/bujhs